النتاج الجديد

مجرمون طيبون

مجموعة قصص بقلم مهدي عيسى الصقر

منشورات « اسرة الفن المعاصر » ، بغداد — ١٢٠ ص

•

لا يصعب على قارىء هذه المجموعة ان يؤمن بأن مؤلفها ذو موهبة قصصية تسعى الى توكيد ذاتها ، سواء بالتصوير الموحي او التحليل المعبّر . وإذا كان ممكناً ان يؤخذ على المؤلف اقتصاره في اختيار نماذج ابطاله على وسطٍ واحدٍ من اوساط المجتمع ، فأنه يُحمد له تعميقه الشعور بالألم الذي يرزح تحته افراد هذا الوسط . ولعله موسّع ، في نتاجه القادم ، الأفق الذي يستقي منه ، وبذلك تبلغ صوره وتحليلاته الموفقة امتداداً انسانياً ابعد .

والقارىء يجب من هذه المجموعة اربع قصص على الاقل من مجموع تسع . فقصة « عواء الكلاب » هي قصة بستاني يعيش في قصر غارق بالملذات ، بينما هو يسوق حياة حرمان وقلق ، وقد وفق المؤلف الى التعبير عن هذا الظلم الاجتماعي برسم صورتين : صورة كلب القصر الذي يبحث عن انثاه لدى الفلاحين ، وصورة فتاة القصر التي تبحث عن رَجُلها بين المدعوين . اما هو ، البستاني ، فقائم بينهما تملىء نفسه عواءً ونباحا ، كذلك الكلب المربوط . هو ايضاً يحرمه مجتمعه الذي لا عدل فيه من التنعم بالحياة ، بينما يتيحه لساكني القصور ، بسماحٍ ساقط مرذول .

و « الضباب » قصة انسانية حلوة ، فيها سذاجة ورقة . قصة راعٍ ينتظر القطار لينقله الى المدينة حيث يبيع خرافه . واذ هو كذلك ، يلمح في قطار للركاب وجه امرأة حسناء يخلّف في نفسه اشتاتاً من الأحلام والوعود . وبعد ان يبيع خرافه تنصحه زوجته بان يبيع ايضاً البقرة التي كان يُخشى عليها دائماً ان يدهسها القطار . ويخرج الراعي يبحث عن بقرته في الضباب ، فيراها جالسة على السكة ، وينجح في دفعها عنها قبل وصول القطار ، ولكنه يخفق هو نفسه في تفادي الحافلة ، فيذهب ضحية بقرته . واحسب ان المؤلف كان موفقاً في ان يلف جو الراعي وجو القصة نفسها ، بهذا الوشاح الحلو من الضباب .

وقد اصاب المؤلف ايضاً نجاحاً طيباً في قصة «علبة الثقاب» التي تقوم على تصوير صادق لنفسية برجوازي ثريّ يحسب انه يستطيع ان يشتري كل شيء بالمال ، وقد رسم القصاص خطوطاً موجزة ولكنها عصبية حية ، لفئة من الحضور الذين كانوا يراقبون مسلك الثري في الحانة ، تتوزعهم عاطفتان من انبهار وحقد ؛ وهذا التوتر بين الثري والحضور هو الذي يكسب الأقصوصة رعشتها الانسانية .

والحق ان المؤلف يحاول ان يقيم عدداً من اقاصيصه على هذا التوتر ، ولكنه لا ينجح فيها جميعاً ، وهذا ملاحظ في اقاصيص « القطيع القلق » التي تعجز عن تصوير قلق الخوف من البطالة ، و « مواطن جديد » و « هندال » التي هي صورة لا قصة . ونحسب ان ذلك مردود الى طبيعة الموضوع الذي يتناوله القصاص ؛ فهو في هذه الأقاصيص الأخيرة يحاول ان يبتسر الجو ابتساراً من موضوع غير خصب ولا واعد . ومن هنا نشأت ملاحظاتنا الأولى في ان افق الأقاصيص محدود ضيق ، لا تحمل مادته دائماً خميرة قصصية .

والى هذه الرغبة في استغلال كل مادة من مواد ذلك الافق ، يعود إخفاق المؤلف في معالجة موضوع قصة «مجرمون طيبون » ففضلاً عن تهافت التقنية الفنية في هذه القصة ، نجد فيها بذوراً لفكرة لا انسانية ولا اخلاقية ، رغم الثوب الذي اراد المؤلف الباسها إياه . فهي قصة ثلاثة من العمال يقصّون على مسمع من الراوي — فيما هم يقدمون له الشاي — جوانب من حياتهم لم يكن فيها إلا سطو وقتل وإجرام ؛ وحين ناموا ، شعر الراوي بفراغ و « بحنين الى تلك الضجة التي يثيرها العمال الثلاثة ؛ فقد كانوا رغم اجرامهم الذي لا يسنده العلم اناساً طيبين ، طيبين جداً ! » بهذه العبارة تنتهي القصة ؛ وظاهرٌ ان فيها نزعة الى تبرير الاجرام بحجة ان مرتكبيه يوحون بالطيبة . . . ولسنا بحاجة الى مناقشة هذا الرأي المغلوط الخطر ، فضلاً عن ان هذه الطيبة لا تتجلى في مسلك الابطال الثلاثة ؛ إلا ان تكون في كرمهم بتقديم الشاي للراوي !

إن الفقراء والمحرومين والعمال هم طبعاً بأشد الحاجة الى العدل . وينبغي ان نعمل من اجلهم اكثر جداً مما يظنّ البعض ، ولكن هذا ينبغي الا يبرر لنا تمجيد ما قد يرتكبونه من اخطاء .

بقيت « بكاء الاطفال » وهي قصة رفيعة في ما تهدف اليه

من مغزى اجتماعي . قصة عينين في قطار تحاولان ان تشدّا رجلاً متزوجاً إلى الهاوية، بان تُحلاّه من رابطة الزواج المقدسة، ومن مسؤولية الشعور بانه اب « ينبغي » ان يحتمل بكاء طفله المزعج . ويقوم الصراع في نفسه ، بعد ان سكت الطفل ، حتى بدا ان العينين قد نجحتا .. ولكن قبل ان يستسلم الاب لاغرائها، عاد صوت الطفل الباكي فنبّهه الى ذاته .

ولكننا نحسب ان المؤلف افسد فنّية القصة اذ انهاها بتلك العبارة التقريرية الوعظية : « غير ان الاب لم يبد عليه الضجر او التذمر هذه المرة ، بل ظلّ يبتسم وكأنه يستمع الى اعذب الألحان ؛ فقد كان بكاء الطفل في ذلك اليوم لحناً سماوياً ايقظه من السقوط في الهاوية وصدّه عن حياة الاثم والخطيئة . » فهو بهذه العبارة قد كشف للقارىء كشفاً مفضوحاً ما كان يستطيع — ويلذّه — ان يكتشفه هو نفسه وحياً وحدساً .

وبعد فان هذه المجموعة القصصية تأخذ لها مكاناً محترماً بين المجاميع القصصية العراقية التي يصدرها الجيل الجديد من الأدباء في العراق ، وهي تَعِدُ بان المؤلف قادر على ان يستكمل لفنه القصصي جميع اسباب النجاح .

س . ا

ادفع دولاراً تقتل عربياً ..

تأليف « لورانس غريزوولد » — تعريب منير البعلبكي

دار العلم الملايين ، بيروت ٢٠٨ ص

لم اقرأ بحثاً عن المشكلة الفلسطينية ، ولم اسمع رأياً فيها ، إلا وتساءلت : ترى هل وضع الباحثون هذه المشكلة على صعيد جدي فتحرّوا في بحوثهم الاسباب العميقة للكارثة ؟ هل لمسوا الداء بيدهم لمساً حيّاً فانبروا يبحثون عن الدواء ؟ هل عانوا المأساة العربية معاناة حقيقية خوّلتهم الحق في الكشف عنها ؟ وبعبارة اخرى ، هل طرح العرب المشكلة الفلسطينية على انفسهم ؟ هل أعادوا النظر في مقوّمات حياتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ؟ وقيمنا الاخلاقية والتشريعية هذه ، ومقدساتنا الدينية والاجتماعية ، وتقاليدنا وعاداتنا ، هذه كلها هل فيها بعدُ من الحيوية والفعالية ما يمكنها من ان تثبت لتيار الحياة الجارف، بله ان تقوم بوظيفتها كمحرك دينامي للمجتمع العربي ؟

طبيعي ألا يستطيع الفرد العربي ، بما ران عليه من جهل وفقر انتجا قحطاً في دفقة الحياة ، وبلادة في الفكر ، ان يعيد النظر ، من غير ما معونة احد، في جميع ركائز حياته التي يتشبث بها وهو في طريقه الى الفناء . هنا تبدو مهمة المفكرين العرب الشاقة ، هنا تظهر ضرورة الحركات العربية الثورية . وكل نتاج عن القضية الفلسطينية فكرياً كان او عملياً ، لا يستهدف بالدرجة الاولى مشكلة القيم ، ولا يجرؤ على تشريح مقدساتنا ومعتقداتنا ، فيبعث في نفوسنا الشك فيها والثورة على مناحيها التي لن تصمد بعد للحياة ، إنما هو نتاج زائف يلامس سطح المأساة ولا ينفذ الى الصميم .

وإذا ما نظرنا الى النتاج الذي عالج القضية الفلسطينية من هذه الزاوية ، صعب علينا ألا ننعت اكثره بالزيف والسطحية.

بقي سؤال : ما هي المأساة والى اي حد ينبغي ان تكون قاسية فظيعة حتى تقف خط انحنائنا ، فنتخذها مرتكزاً للبعث والانطلاق ؟ إن جميع الدلائل تشير الى ان مأساة فلسطين لن تكون آخر مآسينا ولا أفظعها . ولو كانت كذلك ، لما رأينا استمرار الغلبة والانتصار لقيمنا الانحطاطية التي أودت بنا الى الانهيار . إن خط انحدارنا لم يستقر بعد ؛ وانتصار الحركات الصاعدة لا يزال بعيد المنال . واذا كان النتاج المنتظر الذي نعوّل عليه لوقف أفولنا لم يظهر بعد ، فليس ذلك يعني ان كل نتاج ، يبدو لنا دون المنتظر ، لا يفيد . فلا بد من الاستمرار في العمل والمثابرة عليه حتى نصل الى مرتكزنا الانطلاقي، وكل ما نرجو ألا يطول بنا الانتظار .

★

لن اتكلم عن « ادفع دولاراً تقتل عربياً » من هذه الزاوية، لأنه ليس من المفروض في صحفي اميركي ان يضع يده على صميم المشكلة ، ما دامت غايته من الكتاب ، تعريف المواطنين الاميركيين بسوء سياسة حكامهم ، وما دام الدافع له الاسهام في اسماع وجهة النظر العربية في بلاد سيطر عليها الرأسمال الصهيوني وغدا لصوت الناخب اليهودي فيها مركز الثقل في توجيه الانتخابات .

لقد اطلق غريزوولد على مؤلفه اسم « هذا سيف الله » . ولكنه ذكر حادثة في مقدمة الكتاب مفادها ان اليهود « نصبوا في مانهاتان — وهي جزيرة في نيويورك — مكبرات الصوت على السيارات الكبيرة او المنابر ، وراحت تحور متوسلة الى الاميركيين ان يعطوا دولاراً ليقتلوا عربياً » فدفعته هذه الحادثة الى زيارة البلاد العربية والطواف في جبهات القتال ووضع مؤلف يحاول به التخفيف من تحيز انباء الصحف الاميركية وتعليقاتها الخاصة بحرب فلسطين . لأن المواطن الاميركي لا يمكنه ان يعرف حقيقة الحوادث التي بدأت عام ١٩٤٨ في الاراضي المقدسة ، اذا لم يلم بوجهة النظر الاخرى

المقابلة لوجهة نظر الصهيونيين والتي كانت معروفة بصورة قوية حداً في الولايات المتحدة الاميركية .

وهكذا قرر غريزوولد رحلته هذه ، وشرح في صفحات ممتعة الصعوبات التي لقيها في الاتفاق مع بعض الصحف على مدها بالأخبار والتعليقات وكذلك مع محطات التلفزيون لتزويدها بأفلام المعارك .

ويبتدىء الكتاب – بعد المقدمة – بفصل عن مواكب الحضارة في الشرق العربي يدحض فيه المؤلف الخرافة الصهيونية التي تقوم على العرقية وتدعي ان اليهود متحدرون من اصل واحد نزح عن فلسطين . ويورد الادلة التاريخية على ان اليهود السلافيين الذين سكنوا امارة كييف على الدنيبر ، انما اعتنقوا اليهودية اعتناقاً ، لأسباب تجارية وسياسية ، وكذلك فعلت قبائل الخزر التي كانت تقيم في الشواطىء الغربية من بحر قزوين. « وفي ما هو اليوم كازاكستان السوفياتية الغربية قدر لليهود الخزر غير الساميين – وكانوا حتى قبل دخولهم دين يهوه قوماً عنيدين عدوانيين وتجاراً بارعين – ان ينتشروا في اوروبة ، وان يطالبوا آخر الامر بفلسطين وطناً قومياً لهم ، وهي ارض لم يعرفها اسلافهم القدماء على الاطلاق » (ص ٢٥) .

ويخلص غريزوولد في الفصل الثاني الذي تحدث فيه عن نشوء الفكرة الصهيونية حتى مذابح دير ياسين ، الى ان « الحقيقة الواضحة تحتم علينا القول بأن سيادة العبرانيين القصيرة على فلسطين لا تمنحهم من الحقوق فيها غير جزء مما تمنحه سيادة العرب والفرس والرومان على الديار المقدسة من حقوق .بل انها لا تمنحهم حقوقاً تتساوى وحقوق الصليبيين ... » (ص ٢٨) .

ويسرد المؤلف بعد ذلك تناقضات السياسة البريطانية في فلسطين ، والاضطرابات التي حدثت فيها خلال فترة الانتداب ، وابتداء الحرب الفلسطينية ويصف الفظائع الوحشية التي دبرها اليهود في القرى العربية ، والتي لم يعرف منها الرأي العام العربي سوى مذبحة دير ياسين ، فيذكر المذابح التي اقترفها الصهيونيون في قرية نصر الدين والقرى المعروفه باسم بيت الخوري ، وقرية الزيتون ، وبيت دراس ... وجميع هذه المذابح « تفسر لنا كيف استطاعت قوى من الارهابيين والهاغانا صغيرة نسبياً ان تخرج نحواً من ٩٠٠،٠٠٠ عربي من الأرض التي حرثوها وعمروها لأنفسهم منذ آلاف السنين . »

وفي الفصل الثالث يشرح وجهة نظر العرب في مصر ، ويسرد لمحات من تاريخ مصر الحديث وصراعها مع بريطانيا ، ويحاول ان يعرف القراء بمشكلة قناة السويس ويدافع عن الرقابة التي فرضتها مصر على الملاحة فيها ، ويذكر بعض الامثلة من الخدع التي كانت تقوم بها الشركات الاوروبية والاميركية لتهريب الأسلحة والبضائع الى اسرائيل متجاوزة بذلك الحصار العربي . وكذلك يشرح بشيء من التفصيل الفائدة التي جنتها اسرائيل من هدنة حزيران في اعداد جيشها وتسليحه والمساعدات التي نالتها من الولايات المتحدة وبريطانيا والطيارين الذين استخدمتهم لقيادة اسطولها الجوي . ويصف بكثير من الطرافة الاباء العربي الذي اظهره القادة العسكريون المصريون عندما دعاهم اليهود لتقرير مصير الفالوجة والجوع يتأكل احشاءهم فرفضوا دعوة اليهود للغداء بالرغم من سخاء المائدة واغرائها . ولا ينسى فضيحة الجيش الاردني عندما ارتد فجأة عن اهدافه تحت الضغط البريطاني تاركاً الجيوش الشقيقة تقاتل يائسة .

ويتابع المؤلف في الفصل الرابع رحلته الى السودان ومناطق الخليج الفارسي العربية . وكان يبغي من وراء رحلته هذه الالمام بوجهة النظر العربية في قضية فلسطين . ولكنه لا يتحدث في محادثاته هناك عن نظرة العرب الشرقيين الى المأساة لانه اكتفى فقط بتعريف القارىء الى كيفية دخول الحضارة الآلية الى تلك المناطق النائية .

اما الفصول الممتعة حقاً فهي تلك التي يروي فيها الكاتب انطباعاته في رحلته من البصرة الى بغداد ، وكذلك عندما رافق الجيش العراقي من عاصمة الرشيد الى جبهات القتال . فقد كان يبتغي المسير الى الجبهة « قبل ان تعقد هدنة موقتة بدت لي محتومة . اقول هدنة ، لأني كنت واثقاً من ان الحرب لن تنتهي ما بقي في فلسطين شيء اسمه اسرائيل . » (ص ١١٠) وهو يعني بذلك الهدنة الثانية .

كل ذلك من خلال تأريخه لحياة العراق الحديث ونضاله ضد الاستعمار البريطاني وثورته عام ١٩٤١ ومساهمة الجيش العربي الاردني في القضاء عليها .

اما الفصول القيمة فهي التي تلي ذلك . فمن الممتع حقاً ان نقرأ ما كتبه شاهد عيان عن خيانة اليهود المتتالية لاتفاقيات الهدنة وخرقهم لها ، هذا الخرق الذي لم ينته بعد . والأنكى من ذلك مناصرة المراقبين الدوليين لهم وارسالهم التقرير تلو التقرير لهيئة الامم المتحدة وكلها تمثل وجهة نظرهم وتدافع عنهم وتبرئهم من جميع المآسي الوحشية التي اقترفوها .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى وصف مشكلة اللاجئين العرب والحديث عن منزلتهم البشرية ، هذه المنزلة التي تردت في الهاوية فلم تعد تفرق في شيء عن مخلوقات الله العجمى !

ولم ينس الكاتب الحديث عن النتائج التي وقعت في سوريا بعد الهزيمة العربية والتي بدأت بسلسلة الانقلابات العسكرية .

ويتحدث في الفصل التاسع والاخير عن وجهة نظره في مصير اسرائيل السرطان ... فيقول :

« ان دولة اسرائيل سرطان اقحم ظلماً وعدواناً ، وفي كثير من العنف ، الى الشرق الاوسط . ولكنها بخلاف السرطان لا تستطيع ان تحيا الى ما لا نهاية له على حساب جيرانها ، ولا بد لها من ان تموت آخر الامر ما دامت لا تملك في ذاتها مقومات الحياة . »

ولكننا نسأل المستر غريزوولد – فيما لو سلمنا معه بانها لن تعيش – : الى اي نقطة سيصل السرطان الاسرائيلي في امتداده عبر الجسم العربي ؟ وكم هو عدد المآسي التي ستحل في المجتمع العربي ، وما هو مقدار عمقها وفظاعتها قبل ان يقف العربي خط انحداره ويتخذ منها منطلقاً لبعثه الجديد ؟

★

وبعد ، فان نشر كتاب مثل « إدفع دولاراً تقتل عربياً » في اللغتين الانكليزية والعربية ، ذو فائدة مزدوجة : أولاهما انه يعرّف العالم الغربي بوجهة نظرنا في مأساة فلسطين ؛ وثانياً انه يسهم في تذكيرنا بقضيتنا الحياتية ، او بمجرد استمرار وجودنا فوق هذا الكوكب .

ولكن الى اي حد يبشر المستوى الثقافي والاخلاقي في الولايات المتحدة بفهم عدالة قضيتنا ، فضلاً عن نصرتنا والوقوف الى جانبنا في هذه المحنة ؟ لقد اطلع قراء « الآداب » في العدد الماضي على مسرحية سارتر « البغي الفاضلة » التي عالج فيها مصير الزنوج ومأساتهم . وعلى الرغم من التشريعات التي صدرت بعد الحرب الاخيرة للتخفيف من حدة النزاع العنصري في اميركا ، فقد بقيت مشكلة السكان الملوّنين بعيدة كل البعد

عن الحل النهائي العادل . ولقد عاش المستر غريزوولد المذابح التي اقترفها الصهيونيون في فلسطين والتي شاهدها مراقبو هيئة الامم بعيونهم ، ومع ذلك فلم يسمع بها إلا قسم ضئيل من الرأي العام العالمي .

ونحن نرى شبهاً كثيراً بين مواسم صيد الزنوج في اميركا، وبين المذابح التي عانتها الارض المقدسة . فهل يضمن لنا مؤلف الكتاب الاستجابة الحقيقية في بلاده لعدالة قضيتنا ، ما دامت مأساة الزنوج ، لم تزل تجري على الارض الاميركية ، من غير ان يستطيع لها المشرعون حلاً ؟ وهل ارتفع بها المفكرون الاميركيون الى صعيد القيم الانسانية الحقّة في ما وضعوه من آثار ؟ وهل تساءل هؤلاء المفكرون عن مفهومهم للعدل والحرية في هجرتهم الى الارض الجديدة وإفنائهم لسكانها الاصليين ؟ ان المستوى الثقافي والاخلاقي في الولايات المتحدة لا يزال يحتاج الى كثير من العناية والتقويم حتى يستطيع الاميركان الارتفاع الى مفاهيم الغيرية ونصرة الحق اينما وجد ، ما دامت المشاكل الشبيهة بمشكلة اللاجئين لم تجد لها حلاً على ارضهم ...

وأخيراً ليس لي ان اتحدث عن قيمة التعريب ومقدار الامانة التي حافظ بها الاستاذ منير البعلبكي في نقله الاصل الى اللغة العربية . فهو قد اصبح علماً من اعلام الترجمة في عصر انبعاثنا ونهضتنا الفكرية . وإذا ما قدّر للمؤرخين ان يؤرخوا لهذه الحقبة التي يمر بها الفكر العربي، فلا بد من ان يصيب الاستاذ البعلبكي من تقديرهم وثنائهم الحظ الوافر **اميل شويري**

ثورة الزنج !

بقلم الدكتور فيصل السامر

دار القارىء — مطبعة العاني ، بغداد — ١٦٥ ص

هو بحث في ستة فصول تحدث فيه المؤلف عن احوال الزنج الاجتماعية في المجتمع الاسلامي ، وعن صاحب الزنج علي ابن محمد وعن طبيعة هذه الثورة واسسها العقائدية وعن حرب الزنج ومنظمات الزنج الادارية والمالية والاقتصادية .

ان الباحث في التأريخ الاسلامي ليلاقي كثيراً من الصعاب في درس موضوع بارز اهتم به المؤرخون المعاصرون، لأختلاف المصادر في الرواية والمبالغات التي يتعثر بها ، ولأن المؤرخين القدامى سجلوا عن غير فهم، وفي محيط لا يتمتع إلا بقسط قليل من الحرية في الكتابة والتفكير . فكيف بالباحث المؤرخ حيال موضوع لا يتصل بشؤون الخلافة والقادة والامراء ؟! وعلى الأخص في موضوع يتصل بفئة ثارت على الخليفة كحركة الاسماعيلية والقرامطة وهؤلاء الزنج ..! لا شك في ان المؤرخ قد احيط بصعوبات اكبر واكثر من قلب الحقائق ووفرة الافتراءات وندرة المصادر .

ثار الزنج لما كان يلاقونه من اضطهاد وجوع وهدر لأنسانيتهم ، فتألب عليهم السادة والعامة ايضاً . اولئك دفاعاً عن مصالحهم وهؤلاء بفعل الاثر الذي خلفته مفاهيمهم الخاطئة لتعاليم الشريعة الاسلامية السمحاء ، فرأوا في ثورة العبيد المسترقين خروجاً على الدين وعصياناً لأوامر الله ، وشحذ المؤرخون المعاصرون عقولهم وعواطفهم في الهجوم على المارقين.. الكافرين ..! لهذا فأن عناء الدكتور فيصل كان كبيراً ، في نبش المصادر وفي نفشها ، ليجد ما يلقي نوراً ضئيلاً على حقيقة هذه الثورة وحقيقة اغراضها واهدافها..وقد استطاع الدكتور بما بذل من جهد مشكور ان يرسم صورة تكاد تكون واضحة عن دوافع هذه الثورة واغراضها ، وان يكشف عن افتراءات بعض المؤرخين عليها وعلى صاحبها بطريقة علمية بقدر ما اعانته المصادر المتوفرة ، إلا انه اطال في وصف المعارك بين الزنج واعدائهم وليته تخطى كثيراً مما نقل لأننا لسنا في حاجة الى عسكريات الثورة بقدر حاجتنا الى دوافعها ونتائجها ولا سيما ان الكتاب للقارىء العام . بغداد **اكرم توفيق**

منشورات دار الطليعة

الموسم العمياء

قصيدة طويلة

لبدر شاكر السياب

تطلب من متعهد التوزيع في العراق والخارج

توفيق محمود حلمي

صاحب مكتبة الامل ـ بغداد

المراسلات : باسم صاحب دار الطليعة للنشر حسين مردان
جريدة صوت الاهالي — بغداد

مشكلات ونماذج في "الحي اللاتيني"

بقلم رجاء النقاش

تتميز المرحلة التي يمر بها ادبنا وحياتنا بالنزوع الى واقع ارقى مما نعيش فيه. ففي مجال الحياة نجد الجماعات تسعى الى التغلب على اوضاعها التي فُرضت عليها وطال بها الكفاح في سبيل التحرر منها، وفي مجال التعبير نجد ان المفاهيم المختلفة قد اخذت تسير نحو التطور والتغير حتى تلائم ما نشأ في حساسيتنا من حاجات جديدة، كان منها حاجتنا الى اعتبار مشاكلنا وقضايانا وعقدنا المختلفة موضوعات يعبر عنها الفن، ويشارك في الوصول الى حلول صالحة لها، على اعتبار ان الاحساس بالمشكلة وحصرها في مجال تعبيري ما، خطوة كبيرة في حلها.

وفي هذه المرحلة من النزوع الى تغيير حياتنا ومفاهيمنا الأدبية استطعنا ان نخطو خطوتين متداخلتين، كان لهما اكبر الأثر فيما وصل اليه ادبنا المعاصر من نهضة ورقي. اما الخطوة الأولى فهي الانتصار على «الشكل» حيث بدأنا نعدد الاشكال الفنية من قصة إلى مقالة إلى الوان مختلفة من التعبير الشعري، وكان لهذا التعدد في الاشكال اثره في تغيير المضمون الأدبي الذي تحتويه. فقد اصبح الفن عندنا اكثر قابلية على استيعاب تجاربنا، والمشاركة في التعبير عن مشاكلنا، مما كان عليه ادبنا في الماضي، حيث كانت القضايا الجزئية والانفعالات السطحية للأفراد هي المضمون الغالب للأشكال الفنية التي كان الادب العربي محصوراً فيها وعلى رأسها القصيدة.

اما الخطوة الثانية التي تركت اثرها على تطورنا في مجال التعبير، فهي الانتصار على انعزاليتنا بالنسبة للآداب العالمية الاخرى. فقد اتصلنا بها اتصالا ايجابياً وتركت بعض مدارسها واتجاهاتها اثراً يمكن رصد مظاهره بدراسة الاتجاهات المختلفة التي تمثل ادبنا المعاصر. وقصة «الحي اللاتيني» لسهيل ادريس تمثل هذه الحركة الجريئة في ادبنا؛ فهي من جانب تضعنا امام قضيتنا الكبرى في وسط «عالمي» نستطيع ان نتبين من خلاله حقيقة واقعنا الداخلي: عقدنا، امراضنا، ما نحن في حاجة اليه لنتنصر على عقبات الطريق التي نسير فيها الى غاياتنا واهدافنا المختلفة، إذ تعرض احتكاك الفرد العربي الخالص بواقع العوالم الاخرى وتعطينا الذبذبات المختلفة التي تطرأ على هذا الفرد ازاء ما يلقاه في الحياة الجديدة التي تواجهه بعد ان فتح عالمه المغلق وخرج منه، ليتبين حقيقته التي تبدو بوضوح في هذه البيئة الانسانية الكبيرة التي اسميناها بالوسط العالمي. فقضايا الشعوب المظلومة التي ينتسب اليها بطل القصة وبعض الشخصيات غير الرئيسية، هي المضمون الرئيسي للقصة، حيث لا يني سهيل ادريس يدفع القارىء خلال الاحداث المتطورة النامية للقصة الى الاحساس بأنه امام قضية انسانية كبرى. وحتى في تلك اللحظة التي يبلغ فيها شعور القارىء بالمأساة التي تعيش فيها بطلة القصة اقصى درجاته، نجد هذه القضية توجه المأساة لا العكس.

والى جانب ذلك نجد سهيل ادريس فناناً قد درس اصول فنه في قراءة واعية وتأثر تأثراً واضحاً بالاتجاه الوجودي وبخاصة عند زعيمه المعاصر «سارتر» وتأثر المؤلف «بتكنيك» القصة عند سارتر يتضح في خلال الفصول المختلفة «للحي اللاتيني». ونستطيع ان نركز هذا الاثر في ظاهرتين اولاهما «اسلوب القصة» فالبطل هو الذي يرويها على لسانه مع تداخل في شخصيته كغائب، ومتكلم، ومخاطب. اما الثانية فهي عدم التزام التسلسل الزمني والمكاني في سرد الاحداث ونمو الشخصيات خلالها، فهو يعطيك «الموقف» احياناً ثم يعود الى ما سبقه من مواقف، ثم يعود ثالثة الى استكمال احداث الموقف الاول. ويتميز هذا الاتجاه في اعطاء القيمة للموقف دون التسلسل المنظم بانه ينقل القارىء من مجرد السرد الى عالم آخر يشعر فيه بحرية إنسانية لا تعطى له إذا ما كان مقيداً بمقدمات الموقف ونتائجه، وكذلك بأسبقيته الزمنية والمكانية. فالقارىء يشعر انه يعيش في حياة، لا في جزء خاص من حياة افرادها شخصيات القصة، وذلك ما نحسه إذا ما اخذنا في قراءة قصة تتتبع شخصية واحدة او عدة شخصيات تتبعاً متسلسلاً. هنا تحس انك تقرأ قصة وان هذه القصة «صندوق مغلق» يحتوي كائنات تفقد امامها شعورك بالحياة ككل.. الحياة المفتوحة التي تنسيك انك تقرأ قصة، فتحس انك تعيش في عالم مليء بالناس والاحداث، وان البطل مثلاً قريب

منك، وانه لا يبعد ان تكون انت او احد معارفك هذا البطل الذي يعاني احداث القصة ويعيش في مجتمعها ويمر بمواقف يكون سلبياً في بعضها ويعيش في بعضها الآخر بذهنه ومشاعره. وإذا قارنا قصة سهيل ادريس بقصة سارتر « طرق الحرية » في اجزائها الثلاثة، لاستطعنا ان نتبين تأثر سهيل إدريس بسارتر في شكل واضح. وفي الفصل العاشر من القسم الثاني من «الحي اللاتيني» تبدو هذه الظاهرة بوضوح اكثر منها في اي فصل آخر

وبين « الحي اللاتيني » و «سن الرشد»، وهي القصة الاولى من طرق الحرية لسارتر، نجد شبهاً آخر. فالمشكلة التي تعرضت لها « مارسيل » بطلة « سن الرشد » هي نفسها التي تعرضت لها «جانين» بطلة «الحي اللاتيني». « فمارسيل » و « جانين» تحملان عن طريق غير شرعي بالنسبة لالتزامات المجتمع وتقاليده، وتختلف موقف الكاتبين بعد ذلك تبعاً لاختلاف ما يشغل كلا منهما من مشاكل، وتبعاً لاختلاف مفاهيمها عن الحياة. فسارتر مثلاً لا يفكر في الاعتداء على وجود إنساني ما بان يرفض حل المشكلة بعملية إجهاض، بل يتيح كل الظروف التي تمكّن من حدوث العملية، ثم يدع مارسيل تختار « وجود » وليدها، ويواجه المشكلة بعد ذلك على اساس ان هذا الوجود قد اصبح « ضرورة ». اما سهيل إدريس فيمكن « جانين » من إتمام عملية الاجهاض فيكمل بذلك نسيج مأساة كبيرة تنتهي بها الى حي « سان جرمان ديبريه »، ذلك لان سهيل ادريس في قصته ليس مشغولاً بقضية الوجود الانساني العام، بل تشغله قضية هذا الوجود محدوداً في إطار من اوضاع الشعوب المريضة المظلومة التي ينتسب اليها بطل القصة، وهو يستغل هذه المأساة ايضاً في التعبير والدفاع عن هذه القضية الكبيرة التي تشغله والتي تشغل عالمه الذي يعيش فيه : معي ومعك ومع كل شرقي عربي يعاني الحياة في هذه الفترة.

على ان وظيفة جانين في هذه القصة ليست مقصورة على استغلال ما تركته في نفس القارىء من تأثير لخدمة قضية أعم، بل تحمل ايضاً هدفاً آخر هو وضعها على الطرف المقابل للمرأة العربية التي تمثلت في « ناهدة ». فجانين فتاة غربية قد انتصرت على عقدها، وأخذت تمارس حرية التدخل في وجودها، لتحديد مصيرها واختيار أوضاعها المختلفة، فهي بهذا المعنى تعيش انسانيتها كاملة ولا تستمد معنى وجودها من ظرف خارجي كالالتقاء برجل تفقد امامه حريتها، وتلغي وجودها مكتفية بوجود آخر هو وجود الرجل الذي التقت به، فجانين مثلا، اختارت ان تترك خطيبها حينما رفضت موقفه الزائف من الحياة والذي يختلف مع موقفها الحر الصريح، تركت خطيبها بالرغم من ان علاقتها به قد انتهت بان اصبحت غير عذراء، وذلك لأنها اكتشفت انه قد خانها قبل الزواج بأسبوع. ثم تلتقي ببطل «الحي اللاتيني»، وتحبه حباً كبيراً هائلا، ولكنها مع ذلك، تقرر حين يتخلى عنها امام الضغط الذي لقيه في واقع حياته ببيروت فيتنكر لما كان بينهما من علاقة، تقرر « ان تواجه مصيرها في شجاعة » .. وتواجهه بالفعل في شجاعة، وبعد هذه المواجهة التي دمرت حياتها وقادتها الى حي « سان جرمان ديبريه كائنة بلا غد يمكنها بطل القصة من تغيير وضعها الذي اختارته : فيعرض عليها ان تتزوج به ولكنها ترفض ذلك اخيراً، لأنها ترى مرة ثانية ان هناك اختلافاً بين وضعها في الحياة ووضع بطل القصة، فتقول له مبررة رفضها لفكرة الاقتران به تبريراً انسانياً واعياً « إن دنياك التي تحلم بها اوسع وأعظم من ان يستطيع الثبات فيها شخص ضعيف مثلي. انك الآن تبدأ النضال، أما انا فقد فرغت منه، ومات حس النضال في نفسي. لقد عجزت عن ان اقاوم إكثر مما قاومت، فسقطت مهيضة الجناح، أما انت فقد قرأت في عينيك امس استعداداً طويلاً جداً للمقاومة والكفاح... لا يا حبيبي، لسنا على صعيد واحد، لقد وجدت انت نفسك بينما أضعت انا نفسي.. انني لا انتمي الى جيلكم .. لن اذهب معك .. ستجرجرني خلفك .. سأعيق طموحك .. عد يا حبيبي العربي الى شرقك البعيد الذي ينتظرك ويحتاج الى شبابك ونضالك ».

وهكذا تجد «جانين»إنسانة لها وجود متميز تمارسه، وتمارس حريتها إزاء اي موقف يقابلها في وجودها ذاك، حتى الألم واللذة تعيشها باختيار وإرادة. ومثل هذا الجانب الذي تتضمنه شخصية جانين، يمكن ان نضيف اليه جانب مأساتها الخاصة التي تعتبر في ذاتها مضموناً انسانياً كبيراً، وبذلك يكون امامنا نموذج تمكن سهيل ادريس من خلقه حياً يتحرك ويشعر القارىء بوجوده ويملأه انفعالاً بمأساته. ويبدو كذلك واضحاً بما يحتوي عليه من مضامين، ويرمي اليه من اهداف لا شك في ان إحساسنا بها له ضرورة خطيرة في حياتنا، إذ يضع أمامنا كما قلت نموذجاً إنسانياً يستمد قيمته من داخل ذاته، لا من « ظروفه » ولا من « الآخرين » ويحدد علاقاته بالحياة

والناس في اختيار وحرية دون ان يعيش بفلسفة زائفة قد تضمن له وجوده الاجتماعي ولكنها لا تحقق له وجوداً إنسانياً كاملاً لا يذوب في وجود الآخرين بـــل يتمايز باستمرار في وضوح إزاء أي وجود يلتقي بـه . كما ان اخلاقها ليست مستمدة من التقاليد ، وإلا لتزوجت خطيبها بعد ان انتهت علاقتها به إلى ان اصبحت غير عذراء، او تزوجت بطل « الحي اللاتيني » لتحمي نفسها من الضياع ، وليست اخلاقها مستمـــدة من دين، وإلا لأطاعت أهلها وبقيت معهم في الالزاس فتاة «طيبة مطيعة» ، ولكن هـذه الاخلاق مستمدة من داخلها ، هي التي تحددها وتختارها وتعيشها ، وقد تتفق هذه الاخلاق بعد ذلك مع الدين او التقاليد ولكنها سابقة عليها إلى جانب انها تلقائية ، حققت لجانين عنصراً إنسانياً كبيراً هو « حريتها » ، فهي نموذج طيب للمرأة الشرقية ، بل إنها نموذج طيب للرجل الشرقي لأنها نموذج للانسانية الواعية .

أما «ناهدة» فهي فتاة شرقية تقف على الطرف المقابل لجانين، وهي فتاة تفقد كل شيء إزاء التقاليد ، والرجل الذي اختير لها، والمصادفة . فالتقاليد التي تعيش فيها تحدد وظيفة المرأة بالزواج والتفاني غير التلقائي في الزوج ، وعدم التدخل في شئونهـــا الانسانية ، إذ أن الامة والاسرة بوجه عام، هما اللتان تحددان مصير الفتاة ، في اوضاع انسانية تخصها هي ، كاختيار الرجـل الذي يصلح للزواج منها دون غيره . فحين يسألها بطل القصة في لقاء ضم اسرتيهما ، عن الفرع الذي تنوي ان تتخصص فيه بعد ان حصلت على « البكالوريا » تجيب أمها وهي صامتة لا تتدخل: « ليس في النية ان تتم ناهدة التخصص ، وما جدوى ان تمضي في التخصص العالي؟ إنها لن تصبح محامية ولا طبيبة ولا كاتبة ... غداً يأتيها ابن الحلال وقد آن لذلك الأوان . » ولما انفرد بها بطل القصة بعد ذلك قالت له : « لا تصدق انه ليس في نيتي ان اتم تخصصي .. » وذلك لأنها فهمت من حديثه أنه يقدر الثقافة ويعطي لها من حياته جانباً كبيراً فسألها « لم لم تقولي ذلك اذن؟» فأجابت « ألم ترهما : ابي وامي كيف كانا ينظران إلي ؟ ... » ثم تعقب بعد ذلك قائلة من غير ان تتم جملتها «إذا كنت تريد...» أجل إذا كان يريد ان تتم تخصصها فلا مانع من ذلك — ثم يسألها « اي نوع من الكتب تفضلين ؟ » فتجيب « انا.. اوه ..لست ادري .. اختر لي ما تشاء. » وهكذا تعيش ناهدة كأي فتاة شرقية ، كائناً يتصرف في غير تلقائية : إنني اقف هذا الموقف لأن ابي اراد .. لأن امي ارادت .. لأنك تريد — لم تقل مرة إنني اقف هـذا الموقف باختياري .. لأنني اريد ذلك . أما المصادفة في حياتها فهي انهـا جميلة ، وكل قيمتها أمام نفسها هي هذه «المصادفة» التي تعيشها، والشيء الوحيد المقدس في وجودها هو مفهومها عن الجمال والذي يمثله ويحققه جسدها ... هو ان تظل عذراء حتى تتزوج .

في وسط هذا التناقض بين عالمين يعيش بطل القصة ، فهناك عالم جانين الانساني الواضح ، وهناك عالم ناهدة المعقد ، المظلوم ايضا ، وعالم ناهدة هو العالم الذي ينتسب اليه البطل، وقد عاش في عقده وأحس بقضاياه ، ولما انفصل عنه بعد ذلك وسافر إلى باريس حيث تفتحت ذاته على وجود أرحب ، اتسع فهمه لعُقد عالمه وإدراكه لقضاياه، فأخذ يتغلب، بالتدريج وفي مرونة، على تلك العقد المتعددة التي تتصل بشخصيته كفرد، ويفتح عينيه على قضية كبرى هي قضية بلاده، وعلى مأساة إنسانية وجودية كان له دخل فيها وهي تنمو وتتطور حتى تنتهي بصاحبتها جانين إلى « سان جرمان ديبريه ». وخلال الصراع بـــين « القضية » و « المأساة » في داخل البطل نجـده يتحرك في عـــالم متميز حاضر ، لا يخلو من رواسب عالم قديم ، والعالم المتميز الحاضر هو هذه الجماعات من الشباب التي تتحرك في قلق واضطراب وفي داخلها نزوع حـار عميق إلى خوض معركة في سبيل تحرير مجتمعاتهم من اوضاعها السلبية غير الانسانية . وسهيل ادريس يصور هذا النزوع في بناء فني متماسك لأنه يشعر به داخل ذاته ، ويستمده من تجاربه المختزنة فقد كان فرداً من هـذه الجماعات النزاعة إلى الحرية، الساعية وراء تحقيق إنسانيتها ونصرتها، وتجد رواسب العالم القديم وهي تحاصر بطل القصة فتخلق القلق السلبي في حياته ، في مواقف وحالات متعددة تبـــدو مظاهرها في سلوكه بباريس ، وتبلغ قمتها حينما يعود إلى بيروت، فتضطرب نفسه بعد ان عاش من جديد في واقع محصور بأوضاع قاتلة لا تتيح للانسان فيهـــا ان يتحرك حراً إزاء الوجود والناس . « فهدى » و « الأم » و « ناهدة » اولاً ، والماضي الذي عاشه من قبل وتكونت خلاله نفسيته بما فيها من مفاهيم منحرفة عن الحياة وهو يطل عليه من جديد .. في حاضره ، كل هذا يصبح عاملاً من عوامل القلق والسلبية في حياة البطل، وهو عامل قلق وسلبية في حياة هؤلاء النازعين إلى التحلل من اوضاعهم ، التي تشل حياتهم وحركتهم ككائنات تعيش في مجـــال إنساني .

وسهيل ادريس يوفق في عرض هذا كله بأسلوبه الجديد في كتابة القصة ، اسلوب التعدد والتداخل في شخصية البطل : الغائبة بما لها من ذكريات متشابكة لا يربطها نظـــام إلا صدورها عن شخصية واحدة ، والمتكلمة بما تعيش فيه من مواقف وتحسه خلالها من انفعالات ، والمخاطبة بما بينها وبين العـــالم من تمايز وانفصال ، فهي هاربة قلقة تنفصل عن العالم وتضع نفسها ازاءه لتحدق فيه وتبحث عن مكانها منه ، وكذلك بما في القصة من عناية ممتازة في عرض الشخصيات من خلال « مواقف » ورفض الزمن والمكان كتسلسل منظم وجزئي تعيش فيه النماذج وتتحرك بتوجيهه ومنطقه .

ويبقى سؤال تجيب عنه نهاية القصة : ألم يكن من الممكن التوفيق بين عالم البطل وعالم البطلة ... بين البطل وجانين ... بين القضية والمأساة ؟

كل هذا ممكن .

ولكن في عالم جديد ، عالم نسعى اليه نكون فيه انسانيين لا شرقيين فقط ، عالم تتغير فيه مفاهيمنا عن الانسانية والحرية والمسئولية ، عالم هو البداية التي انتهت بها قصة « الحي اللاتيني » لسهيل ادريس .

« واعاذت امه عليه السؤال :

— لقد انتهينا الآن إذن يا بني ، أليس كذلك ؟

فأجابها دون ان ينظر إليها :

— بل الآن نبدأ يا امي »

القاهرة **رجاء النقاش**

« وكلاء الآداب »

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات
العراق : وكالة فرج الله للمطبوعات : محمود حلمي
البحرين : المكتبة الوطنية لصاحبها ابراهيم محمد عبيد
الكويت : مكتبة الطلبة لصاحبها عبد الرحمن الخرجي
تونس : وكيل شركة فرج الله للمطبوعات : الهادي ابن عبدالغني ، نهج الكتبية رقم ١٠
طنجه : مكتبة الصاحب . لصاحبها محمد العمري
ليبيا : المكتبة الوطنية — بنغازي
مصر : دار الكشاف ٣٧ شارع عبدالعزيز بالقاهرة
الخرطوم : السيد حلمي القباني
باريس : المكتبة الشرقية
15 Rue Monsieur - le - Prince — Paris

كتب وردت الى المجلة

(وسينقد بعضها في اعداد قادمة)

- قالت الارض — بقلم « ادونيس »
ديوان شعر — منشورات «الجيل الجديد» دمشق — ١٠٤ صفحات
- اقطاب المدرسة الرومانسية — ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة
دراسات غربيـــة — منشورات الرواد ، دمشق — ١٤٠ ص
- ليلى العفيفة — بقلم عادل الغضبان
رواية تاريخية — دار المعارف بمصر ، سلسلة اقرأ — ١٧٦ ص
- الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية — بقلم علي آل بازركان
دراسة تاريخيـــة — مطبعة اسعد ، بغـــداد — ٢٤٢ ص
- ضحـــايا — بقلم سعد الدين الحبال
مجموعـــة قصص — مطبعة صيدون ، صيـــدا — ٨٠ ص
- دفتر الغزل — بقلم امين نخله
ديوان شعر — المكتبة العصرية ، بيروت — ١٣٦ ص
- باهرة — بقلم حمدي علي
رواية — مطبعة النجاح ، بغداد — ١٣٦ ص
- بابلون — بقلم صفاء الحيدري
اوبريت شعرية — منشورات الرسالة الجديدة — ٧٢ ص
- مشكلة النخبة في الشرق — بقلم سعيد عقل
دراسة — دار الكشاف ، بيروت — ٥٨ ص
- موجز تاريخ الفنون الجميلة — بقلم فاتح ع . المدرس
دراسة ج ١ — منشورات مكتبة ربيع ، حلب — ٣٨ ص
- وطنية خالدة — بقلم روكس بن زائد العزيزي
مجموعة قصص — مطبعة العرفان ، صيدا — ١٢٠ ص
- اثر العلوم في نهضة الشعوب — بقلم الدكتور فاضل الطائي
منشورات جمعية التوجيه العلمي ، كلية الإداب والعلوم ، اعظمية — ٣٠ ص
- بيت الحكمة — بقلم سعيد الديوه جي
دراسة ، بغداد — ٩٤ ص
- امي — بقلم عبد الله عبد الجبار
قصص الجيل الجديد — دار مصر للطباعة — ٤٨ ص
- العم سحتوت — بقلم عبد الله عبد الجبار
تمثيلية اذاعية — دار مصر للطباعة — ٤٠ ص
- القانون المدني اللبناني — بقلم الدكتور صبحي المحمصاني
محاضرات بمعهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة — ٨٠ ص
- المدارس الحديثة — تأليف بول فولكييه
عربه وعلق عليه ع عبدالدائم والدكتور صلاح الدين المنجد وخالدقوطرش
عدد خاص من مجلة «المعلم العربي» — مطبعة الجمهورية السورية — ١٨٨ ص
- اباريق مهشمة — بقلم عبد الوهاب البياتي
شعر — منشورات الثقافة الجديدة ، بغداد — ٩٦ ص
- قصة حي بن يقظان — لابن طفيل الاندلسي
دراسة وتحليل بقلم عبدالهادي حكيم — دار الفارابي ، بيروت — ٨٠ ص
- الدنيا تتحدث عن نفسها — بقلم عبد اللطيف شراره
مجموعة مقالات — منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت — ١٩٢ ص